الآفة العاشرة
التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة

والآفة العاشرة التى يبتلى بها نفر من العاملين ، ولا يكاد يسلم من شرّها العمل الإسلامى، إنما هى : « التطلع إلى الصدارة ، وطلب الريادة » .

وحتى يتطهّر من هذه الآفة من ابتلوا بها ، ويتّقى شرّها من عافاهم اللّه ـ عزّ وجلّ ـ منها ، فتصفو الطريق أمام العمل الإسلامى ، فإنّه لا بدّ من تقديم أو عرض تصوّر واضح لهم ، وذلك على النحو التالى :

أولا: مفهوم التطلع إلى الصدارة ، وطلب الريادة :

التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة لغة : لا نستطيع تحديد المراد بالتطلع إلى الصدارة ، وطلب الريادة لغة إلا بعد تحديد المراد بالصدارة والريادة ، فماذا يراد بهما ؟

تطلق الصدارة فى اللغة ، ويراد بها : التقدم أو الترؤس ، إذ هى مأخوذة من الصدر الذى هو أعلى مقدم كل شىء وأوّله ، تقول: صدر النهار والليل، وصدر الشتاء والصيف ، وما أشبه ذلك ، تعنى أول وأعلى كل واحد منها ، وتصدّر الفرس ، وصدّر أى تقدّم الخيل بصدره [١] .

وكذلك الريادة تطلق لغة ويراد بها : التقدم أو السبق للإعداد والتهيئة ، إذ هى مأخوذة من الرّود وهو الترويد أو فعل الرائد، تقول: بعثنا رائدًا يرود لنا الكلأ والمنزل، ويرتاد ، أى ينظر ، ويطلب ، ويختار أفضله [٢] .

وإذ انتهينا الآن من تحديد المراد بالصدارة والريادة لغة ، فإننا نقول: إن التطلّع للصدارة ، وطلب الريادة فى اللغة، إنما هو الرغبة فى التقدم على الغير، بل سؤال ذلك صراحة .

---

(١) انظر : لسان العرب ٤ / ٤٤٥ ـ ٤٤٧ بتصرف كثير ، والصحاح فى اللغة والعلوم ص ٥٩٣.
(٢) انظر : لسان العرب ٣ / ١٨٧ ، والصحاح فى اللغة والعلوم ص ٤١٦ .

التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة اصطلاحا : أما المراد بالتطلع إلى الصدارة وطلب الريادة فى الاصطلاح الشرعى والدعوىّ ، فإنما هو تعلق القلب بالإمامة أو الريادة ، وسؤال ذلك صراحة أو القعود عن القيام بالواجب ، وأداء الرسالة .

ثانيا : حقيقة التطلّع إلى الصدارة، وطلب الريادة فى ميزان الإسلام :

التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة فى ميزان الإسلام شىء مذموم ومنهىّ عنه، بل عليه الوعيد الشديد إذ يقول النبى ﷺ : «إنا والله لا نولى على هذا العمل أحدًا سأله، ولا أحدًا حرص عليه » (١) .

ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لعبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه : « يا عبد الرحمن ، لا تسأل الإمارة، فإنّك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها » (٢) .

ويقول أبو ذر رضي الله عنه : قلت : يا رسول اللّه ، ألا تستعملنى؟ قال: فضرب بيده على منكبى ثم قال: « يا أبا ذرّ، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة، إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذى عليه فيها » (٣) .

ويقول المقدام بن معد يكرب : إن رسول اللّه ﷺ ضرب على منكبه ثم قال له : «أفلحت يا قديم إن متّ ولم تكن أميرا ، ولا كاتبا ، ولا عريفا » (٤) .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الأحكام: باب ما يكره من الحرص على الإمارة ٩/ ٨٠ ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الإمارة : باب النهى عن طلب الإمارة والحرص عليها ٣ / ١٤٥٦ رقم (١٧٣٣) كلاهما من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه مرفوعا به ، إلا أنه قال فى أوله : دخلت على النبى ﷺ انا ورجلان من بنى عمى ، فقال أحد الرجلين: يا رسول الله، آمرنا على بعض ما ولاك اللّه ـ عز وجل ـ وقال الآخر مثل ذلك . . . الحديث ، وهذا لفظ مسلم .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأحكام : باب من سأل الإمارة وكل إليها ٩/ ٧٩ ، ومسلم فى : الصحيح: كتاب الإمارة : باب النهى عن طلب الإمارة والحرص عليها ٣ / ١٤٥٦ رقم (١٦٥٢)، كلاهما من حديث عبد الرحمن بن سمرة مرفوعًا به واللفظ لمسلم .

(٣) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإمارة : باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ٣/ ١٤٥٧رقم (١٨٢٥) من حديث أبى ذر رضي الله عنه مرفوعا به ، وأخرج البخارى نحوه فى: الصحيح : كتاب الأحكام : باب من سأل الإمارة وكل إليها ٩/ ٧٩ ، ٨٠ من حديث أبى هريرة .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الخراج والإمارة والفىء : باب فى العرافة ٣/ ١٣١ رقم (٢٩٣٣) ، وأحمد فى : المسند ٤/ ١٣٣، كلاهما من حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه مرفوعا ، واللفظ لأبى داود .

ويقول ﷺ : « ويل للأمراء ، ويل للعرفاء ، ويل للأمناء ، ليتمنين أقوام يوم القيامة أنّ ذوائبهم كانت معلّقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والأرض، ولم يكونوا عملوا على شيء »(١).

وإذا كان هذا هو موقف الإسلام من التطلع إلى الصدارة، وطلب الريادة، فما بال نبيّ من أنبياء اللّه سألها، وزكى نفسه ليعطاها ؟ إنّه يوسف عليه السلام إذ حكى القرآن الكريم قوله: ﴿ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ [يوسف] .

وما بال المسلم يلحّ فى سؤالها حتى تصبح سمة من سماته،وعلامة يعرف بها بين الناس ؟ إذ يقول الحقّ ـ سبحانه ـ فى صفات عباد الرحمن: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان] .

ونقول: لا تعارض ولا تناقض: ذلك أن يوسف عليه السلام سأل وزكّى نفسه؛ لأنه رأى خلوّ المكان من قائم بالحق، وداع إليه، ومدافع عنه ، ووجد نفسه أهلا لذلك ، ولكنه لم يكن معروفا، فكان لابد من السؤال والتزكية ، من باب ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ [البقرة : ٢٥١] .

وكذلك سؤال المسلم الريادة والإمامة إنّما هو سؤال للّه وليس للبشر، والمنهى عنه سؤال البشر ، وأيضًا هناك فرق بين أن يطلب المسلم ذلك من ربّه حتى يكون جاهزًا ، ومعدًا لسد الفراغ عند الحاجة، وبين أن يظل نائما ، ثم يسأل الريادة، ولم يأخذ بسبب واحد من أسباب القدرة عليها، والقيام بحقها.

ثالثا : أسباب التطلّع إلى الصّدارة ، وطلب الرّيادة :

وللتطلّع إلى الصّدارة ، وطلب الرّيادة أسباب تؤدى إليه ، وبواعث توقع فيه، نذكر منها :

١ـ الرغبة فى التحرر من سيطرة وسلطان الآخرين :

فقد يكون السبب فى التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة، إنما هى الرغبة فى التحرر من سيطرة وسلطان الآخرين ، ذلك أن بعض الناس قد ينشأ دون أن يذوق طعم الطاعة

---

(١) الحديث أخرجه أحمد فى: المسند ٢/ ٣٥٢ من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به، وأورده الهيثمى فى : مجمع الزوائد : كتاب الخلافة : باب كراهة الولاية ولمن تستحب ٥ / ٢٠٣ وعقب عليه بقوله : « رجاله ثقات فى طريقين من أربعة ، ورواه أبو يعلى والبزار » .

لأحد ، ولو مرة واحدة ، ومثل هذا إذا وضع فى محيط جماعى ، فإنه يعز عليه بل يكبر فى نفسه أن يكون فوقه أحد .

لذلك تراه تتعلّق نفسه تعلقا شديدا بالصدارة ، ويسعى جاهدا لسؤال الريادة، حتى يتحرر ـ بتصوّره ـ من سيطرة وسلطان الآخرين .

٢ـ الرغبة فى تحصيل عرض من أعراض الحياة الدنيا :

وقد يكون السبب فى التطلع إلى الصدارة ، وطلب الريادة ، إنّما هى الرغبة فى تحصيل عرض من أعراض الحياة الدنيا ؛ ذلك أن بعض الناس قد يتعلق بالحياة الدنيا تعلقا يحمله على إصابتها من أى باب تيسر له ، حلالا كان هذا الباب أو حراما، ومثل هذا الصنف يتصور أنه إذا كان صدرا أو رائدًا ، فإن الكل سيكون فى خدمته من أجل إصابة حظه من أعراض هذه الحياة الفانية؛ لذا تراه متعلق النفس بالصدارة، ساعيا بجدية واهتمام لسؤال أو طلب الريادة.

٣ـ الغفلة عن تبعات الصدارة والريادة :

وقد يكون السبب فى التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة ، إنما هى: الغفلة عن تبعات هذه الصدارة، وتلك الريادة، ذلك أن تبعات الصدارة والريادة ضخمة، فصاحبها يجوع حيث يشبع الآخرون، ويظمأ حيث يروى الآخرون، ويسهر حيث ينام الآخرون، ويتعب حيث يستريح الآخرون .

وبالجملة، فإن تبعات هذا الأمر أن يفدى صاحبه الآخرين بنفسه فى ساعات الشدّة، ويقدّمهم على هذه النفس فى ساعات الرّخاء ـ على نحو ما كان يصنع النبىّ ﷺ مع أصحابه ـ إذ يقول البراء رضي الله عنه : كنا والله إذا احمرّ البأس نتقى به، وإن الشجاع منا للذى يحاذى به ـ يعنى النبىّ ﷺ (١) .

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الجهاد والسّير: باب فى غزوة حنين ٣/ ١٤٠١ رقم (١٧٧٦) من حديث البراء رضي الله عنه بلفظ : جاء رجل إلى البراء ، فقال: أكنتم وليتم يوم حنين، يا أبا عمارة ؟ فقال: أشهد على نبى الله ما ولى ، ولكنه انطلق أخفاء من الناس وحُسّر إلى هذا الحى من هوازن ، وهم قوم رماة ، فرموهم برشق من نبل، كأنّها رجل من جراد ، فانكشفوا ، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته ، فنزل ، ودعا واستنصر ، وهو يقول :

« أنا النبىّ لا كذب أنا ابن عبد المطلب

اللهم نزّل نصرك »، قال البراء : كنا والله إذا احمرّ البأس نتقى به . . . الحديث .

وإذ يقول على ﷺ : كنا إذا احمرّ البأس ، ولقى القومُ القومَ ، اتّقينا برسول الله ﷺ فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه [١] .

ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق الناس قِبَل الصوت فاستقبلهم النبىّ ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت ، وهو يقول: « لن تراعوا ، لن تراعوا » وهو على فرس لأبى طلحة عُرى ،ما عليه سرج ، فى عنقه سيف [٢] .

ويقول أبو هريرة ﷺ : اللّه الذى لا إله إلا هو ، إن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشدّ الحجر على بطنى من الجوع ، ولقد قعدت يومًا على طريقهم الّذى يخرجون منه فمرّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب اللّه ما سألته إلا ليشبعنى ، فمرّ ولم يفعل، ثم مرّ بى عمر ، فسألته عن آية من كتاب اللّه ما سألته إلا ليشبعنى، فمر ولم يفعل ، ثم مر بى أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآنى ، وعرف ما فى نفسى وما فى وجهى ، ثم قال : « يا أبا هرّ »، فقلت : لبّيك يا رسول اللّه ، قال : « الحق » .

ومضى فتبعته ، فدخل فاستأذن ، فأذن لى فدخل ، فوجد لبنا فى قدح فقال : « من أين هذا اللبن ؟» قالوا: أهداه لك فلان، أو فلانة، قال: « أبا هر» ، قلت : لبيك يا رسول اللّه ، قال: « الحق إلى أهل الصّفة ، فادعهم لى ».

قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال، ولا أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، وأصاب منها، وأشركهم فيها، فساءنى ذلك، فقلت: وما هذا اللبن فى أهل الصّفة، كنت أحقّ أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوّى بها، فإذا جاء أمرنى ، فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغنى من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة اللّه، وطاعة رسول اللّه ﷺ بد .

فأتيتهم فدعوتهم ، فأقبلوا ، فاستأذنوا فأذن لهم ، وأخذوا مجالسهم من البيت، فقال : « يا أبا هرّ »، قلت: لبيك يا رسول اللّه، قال: « خذ فأعطهم»، قال: فأخذت القدح، فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يردّ على القدح، فأعطيه الرجل

---

(١) الحديث أخرجه أحمد فى : المسند ١ / ١٥٦ من حديث على ﷺ مرفوعا به .

(٢) الحديث قطعة من حديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الأدب : باب حسن الخلق والسّخاء، وما يكره من البخل ٨ / ١٦ من حديث أنس ﷺ مرفوعًا بلفظ : كان النبى ﷺ أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت . . . الحديث .

فيشرب حتى يروى، ثم يرد علىّ القدح فيشرب حتى يروى، ثم يرد علىّ القدح حتى انتهيت إلى النبىﷺ وقد روى القوم كلهم ، فأخذ القدح فوضعه على يده ، فنظر إلىّ فتبسّم، فقال: « أبا هر»، قلت: لبيك يا رسول اللّه، قال: « بقيت أنا وأنت ؟» قلت: صدقت يا رسول اللّه، قال: « اقعد فاشرب »، فقعدت فشربت، قال : « اشرب »، فشربت، فما زال يقول : « اشرب »، حتى قلت : لا والذى بعثك بالحق ما أجد له مسلكا، قال: « فأرنى » ، فأعطيته القدح ، فحمد اللّه وسمّى وشرب الفضلة [١] .

هذه تبعات وتكاليف الصدارة والريادة ، ومن غفل عنها فإنه تتعلق نفسه لا محالة بالصدارة ويجتهد فى طلب الريادة .

٤ـ الغفلة عن عواقب التقصير فى الصدارة والرّيادة :

وقد يكون السبب فى التطلع إلى الصدارة ، وطلب الريادة إنّما هى الغفلة عن عواقب التقصير فى هذه الصدارة وتلك الريادة ، وذلك أن عواقب التقصير فى هذا الأمر فى الدنيا إنّما هى إفساح المجال أمام الباطل وجنده، ليفسد فى الأرض ، ويهلك الحرث والنسل . وأما فى الآخرة فهى التقييد بالأغلال والسلاسل ، والحرمان من الجنة والإلقاء فى النار؛ إذ يقولﷺ : « ما من عبد يسترعيه اللّه رعيّة يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرّم اللّه عليه الجنة » [٢] . «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا ، لا يفكّه إلا العدل، أو يوبقه الجور » [٣] . « من طلب قضاء المسلمين حتى يناله، ثم غلب عدله جوره فله الجنة، ومن غلب جوره عدله فله النار » [٤] .

ومن غفل عن هذه العواقب فإنما تتوق نفسه إلى الصدارة، ويسأل الريادة.

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الرّقاق : باب كيف كان عيش النبىﷺ وأصحابه ، وتخليهم من الدنيا ٨/ ١١٩ ـ ١٢١ ، والترمذى فى : السنن:كتاب صفة القيامة : باب منه ٤/ ٥٥٩ ، ٥٦٠ رقم (٢٤٧٧) ، وأحمد فى: المسند ٢/ ٥١٥، كلهم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، واللفظ للبخارى ، وعقب الترمذى على روايته بقوله: « هذا حديث حسن صحيح » .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب الأحكام : باب من استرعى رعية فلم ينصح ٩ / ٨٠ ، ومسلم فى: الصحيح : كتاب الإيمان : باب استحقاق الوالى الغاش لرعيته النار ١ / ١٢٥، ١٢٦ رقم (١٤٢) ، وكتاب الإمارة : باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ٣ / ١٤٦٠ رقم (١٤٢)، كلاهما من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه مرفوعا به، وبنحوه واللفظ لمسلم .

(٣) الحديث أخرجه الدارمى فى: السنن: كتاب السير: باب فى التشديد فى الإمارة ٢/ ٢٤٠، وأحمد فى: المسند ٢ / ٤٣١ كلاهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعا به.

(٤) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن : كتاب الأقضية : باب فى القاضى يخطئ ٣ /٢٩٩رقم (٣٥٧٥) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به .

٥ ـ الرّغبة فى التسلط ، وإذلال الآخرين :

وأخيرا ، قد يكون السبب فى التطلع إلى الصدارة ، وطلب الريادة إنّما هى الرغبة فى التسلط وإذلال الآخرين ، ذلك أن بعض الناس قد يلقى شدّة وضغطا فى تربيته ، أو تهوينا وتسيبا إلى حدّ حبّ التسلط والإذلال ، ومثل هذا يرى الصدارة والريادة بابا يلج منه ليتشفى ، وليشبع غريزة أفرزتها التربية السيئة ؛ لذا فإن نفسه تتوق إلى هذه الصدارة، ويجتهد فى طلب تلك الريادة.

رابعا: آثار التطلّع إلى الصّدارة ، وطلب الرّيادة :

وللتطلع إلى الصدارة ، وطلب الريادة آثار سيئة ، وعواقب وخيمة على العاملين، وعلى العمل الإسلامى، ودونك طرفا من هذه الآثار، وتلك العواقب :

أ ـ آثار التطلع إلى الصدارة على العاملين :

فمن آثار ذلك على العاملين :

١ ـ الحرمان من التوفيق ، والعون الإلهى :

ذلك أن التطلع إلى الصدارة، وطلب الريادة يعنى الوثوق بالنفس، والاعتماد عليها وعلى ما لديها من طاقات وإمكانات، دون الحاجة إلى عون وتأييد من اللّه، وقد جرت سنّة اللّه مع خلقه، أن يتخلّى عمّن اعتمدوا على حولهم وقوتهم ، غير عابئين بحوله سبحانه وقوته . . . وما ظنّك بمن تخلى عنه ربه ، أيكتب له توفيق ، أو يحظى بأى عون أو تأييد ؟ اللّهم لا !!

وقد لفت النبىﷺ النظر إلى هذا الأثر فى قوله لعبد الرحمن بن سمرة: « يا عبد الرحمن ، لا تسأل الإمارة ، فإنّك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها. . . »(١) .

٢ـ تعريض النفس للفتنة ، وبالتالى للغضب الإلهى :

وذلك أن من تطلع إلى الصدارة ، وطلب الريادة ، فقد جعل نفسه فى مهب ريح الفتن ، إذ ربما ينسى بهذا التطلع، وذلك الطلب مراقبة اللّه ، والحساب والمساءلة غدا بين يديه سبحانه، فيركن إلى الدنيا ، ويرضى بها، وينسى تبعات وتكاليف هذا الأمر، بل ربما جار وظلم، وهذا كلّه ينتهى به إلى استحقاق الغضب والسخط الإلهى، الذى يتمثّل فى العقاب، والعذاب، على نحو ما شرحنا آنفا.

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ١٤٢ .

وما أجمل، وأروع تصوير النبىﷺلمثل هذا الأثر حين يقول: «إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة ، وبئست الفاطمة » [(١)] .

٣ـ تضاعف الأوزار والأثقال :

وذلك أن من يصل إلى الصدارة والريادة بعد التطلع والسؤال ، قد يفتن ، ويقتدى ويتأسّى به من هم دونه، فيعرضون أنفسهم للفتنة مثله، وحينئذ تتضاعف عليه الأوزار، والأحمال فيحمل وزره ووزر من اقتدى وتأسى فى الشر به ، وصدق اللّه : ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥].

وصدق رسول اللّهﷺ : « . . . ومن سنّ فى الإسلام سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شىء»[(٢)] . « . . .ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا»[(٣)] .

٤ـ القتل أو النفى والتشريد فى الأرض :

وذلك أن التطلع إلى الصدارة ، وطلب الريادة قد يؤدى إلى التشاجر أو التناحر، وربما أسفر ذلك عن القتل ، أو النفى والتشريد فى الأرض ، والتاريخ البشرى حافل

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأحكام : باب ما يكره من الحرص على الإمارة ٩/ ٩، والنسائى فى : السنن : كتاب البيعة : باب ما يكره من الحرص على الإمارة ٧/ ١٦٢ رقم (٤٢١١)، وكتاب آداب القضاة : باب النهى عن مسألة الإمارة ٨/ ٢٢٥ ، ٢٢٦، رقم (٥٣٨٥) ، وأحمد فى: المسند ٢/ ٤٤٨ ، ٤٧٦ ، كلهم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعا به، بيد أن الرواية الأولى عند أحمد : « فبئست المرضعة، ونعمت الفاطمة » بالقلب، ولست أدرى مصدر هذا القلب أهم الرواة أم الطباعون ؟ ولعل الأخير هو الراجح نظرا لأن مخرج الحديثين واحد ، واللّه أعلم .

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الزكاة : باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ٢/ ٧٠٤ ، ٧٠٥ رقم (١٠١٧) ، وكتاب العلم: باب من سن سنة حسنة أو سيئة ٤/ ٢٠٥٩ ، ٢٠٦٠ رقم (١٠١٧) ، والترمذى فى : السنن :كتاب العلم : باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة ٥/ ٤٢ رقم (٢٦٧٥) ، والنسائى فى : السنن: كتاب الزكاة: باب التحريض على الصدقة ٦/ ٧٥، ٧٧، رقم(٢٥٥٤)، وابن ماجه فى: السنن: المقدمة : باب من سن سنة حسنة أو سيئة ١/ ٧٤ ، رقم (٢٠٣) ، وأحمد فى: المسند ٤ / ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، كلهم من حديث جرير بن عبد اللّه البجلى رضي الله عنه مرفوعا به وبنحوه .

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم فى: الصحيح : كتاب العلم: باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ٤ / ٢٠٦٠ رقم (٢٦٧٤)، وأبو داود فى: السنن : كتاب السنة : باب لزوم السنة ٤/ ٢٠١ رقم (٤٦٠٩) ، والترمذى فى: السنن : كتاب العلم : باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى ٥/ ٤٢ رقم (٢٦٧٤)، وابن ماجه فى: السنن : المقدمة: باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة ١/ ٧٥ رقم (٢٠٦)، والدارمىّ فى: السنن: المقدمة: باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة ١/ ١٣٠ ، ١٣١ ، وأحمد فى: المسند ٢/ ٣٩٧ ، ٥٠٥، كلهم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعا به وبنحوه .

بآلاف النماذج التى تطلعت إلى الصدارة، وطلب الريادة ، ولم تصل إلى مرادها ، بل انتهت بها الحال إلى القتل أو النفى والتشريد فى الأرض .

ب ـ آثار التطلع إلى الصدارة على العمل الإسلامى :

من آثار ذلك على العمل الإسلامى، كثرة التكاليف ، وطول الطريق ذلك أن صفا يحوى فى طياته متطلعين إلى الصدارة وطالبين للريادة، لا يمكن أن يستقيم أبدًا، وأنَّى لهذا الصف أن يستقيم وفيه من أغرتهم الدنيا بزخرفها، وبريقها، وزهرتها وزينتها . ممثلا ذلك فى التطلع إلى المنصب، والتعلق به ؟

وإذا انتهى الأمر بصف إلى الاعوجاج فإن نصر اللّه منه بعيد إلا أن يكون ذلك مكرا، واستدراجا، وصدق اللّه : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾ [الحج: ٤٠] . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ ﴾ [محمد] .

وقد فطن إلى ذلك سلف هذه الأمة ـ رضوان اللّه عليهم أجمعين ـ فكانوا إذا تأخر عليهم النصر، يردّون هذا التأخير إلى حب الدنيا، والتعلق بها ثم يبادرون بالتوبة والرجوع إلى اللّه ، فينزل بهم نصره .

والقصة التالية تصوير بديع لما فطن إليه هؤلاء :

لما أبطأ فتح مصر على عمرو بن العاص ، كتب إلى عمر يستمدّه ، فأمدّه بأربعة آلاف (تمام ثمانية آلاف) على كل ألف رجل منهم ، رجل ، وكتب إليه : إنى أمددتك بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف رجل ، رجل منهم مقام الألف : الزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلّد ، واعلم أن معك اثنى عشر ألفا ، ولا تغلب اثنا عشر ألفا من قلّة .

ولما وصل هذا المدد ، وتأخر الفتح على عمر، كتب إلى عمرو : أما بعد، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر ، تقاتلونهم منذ سنين ،وما ذاك إلا لما أحدثتم ، وأحببتم من الدنيا ما أحبّ عدوكم ، وإن اللّه تبارك وتعالى لا ينصر قوما إلا بصدق نيّاتهم ، وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر ، وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما أعرف، إلا أن يكون غيّرهم ما غيّر غيرهم، فإذا أتاك كتابى ، فاخطب الناس، وحضهم على قتال عدوهم، ورغّبهم فى الصبر، والنية، وقدّم أولئك الأربعة فى صدور الناس ، ومر الناس جميعا أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد ، وليكن ذلك عند

الزّوال يوم الجمعة، فإنها ساعة تنزل الرحمة فيها ، ووقت الإجابة ، وليعجّ الناس إلى الله ، ويسألوه النصر على عدوّهم . . . [١] .

خامسا : علاج التطلّع إلى الصّدارة ، وطلب الرّيادة :

ويمكن التطهّر من هذه الآفة ، بل وتحصين النفس ضدّها باتّباع الأساليب التّالية :

١ـ دوام النظر فى السنّة النبوية :

فإن فيها تحذيرا شديدا من سؤال الولاية، أو تعلق القلب بها، بل فيها تصوير بليغ لتبعات وعواقب التقصير فى هذا الأمر على نحو ما ذكرنا فى الأسباب من قبل .

٢ـ دوام التذكير بتبعات هذا الأمر ، وعواقبه الدنيوية والأخروية :

فإن الإنسان بفطرته ينسى، ولا علاج لهذا النسيان إلا بالتذكير، والتذكير الدائم، نزولا على منهج القرآن الكريم: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعلى] ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات] .

٣ـ التعويد على الطاعة ، وهضم النفس ، منذ نعومة الأظفار :

فإن ذلك له أثره فيما بعد ، فى خلع هذه الأمراض من القلب ، والرضا بالحال التى يوضع فيها المسلم ، كما قال النبى ﷺ :

« . . . طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل اللّه ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه، إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة ، وإن كان فى السّاقة كان فى السّاقة . . . » [٢] .

٤ـ الرفق فى المعاملة :

فإنه ما كان الرفق فى شىء إلا زانه ، وما نزع الرفق من شىء إلا شانه ، وعليه

---

(١) الحديث أورده علاء الدين المتقى الهندى فى: كنز العمال ٥/ ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، وعزاه إلى ابن عبد الحكم فى : فتوح مصر من حديث زيد بن أسلم .

(٢) الحديث قطعة من حديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الجهاد : باب الحراسة فى الغزو فى سبيل الله ٤ / ٤١ ، ٤٢ ، وكتاب الرقاق: باب ما يتقى من فتنة المال ٨ /١١٤ ، ١١٥ ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب فى المكثرين ٢ / ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ رقم (٤١٣٥ ، ٤١٣٦) ، من حديث أبى هريرة ﷺ مرفوعا، ولفظه فى الرواية الأولى عند البخارى: « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، إن أعطى رضى ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل اللّه . . . » الحديث .

فإن هذا الرفق سيعين على تخليص القلب من الصدارة ، بل وحمد الله على المعافاة منها .

٥ـ التذكير بسيرة السّلف ، وموقفهم من الصدارة والريادة :

فإن سيرتهم طافحة بكراهية هذا الأمر، والنّفور والتحذير الشديد منه تقديرا لتبعاته وعواقبه، فهذا أبو بكر ﷺ يخطب فى المسلمين بعد قبوله الخلافة قائلا :

يا أيها الناس ، إن كنتم ظننتم أنّى أخذت خلافتكم رغبة فيها ، أو إرادة استئثار عليكم ، وعلى المسلمين ، فلا والذى نفسى بيده ، ما أخذتها رغبة فيها، ولا استئثارا عليكم ، ولا على أحد من المسلمين ، ولا حرصت عليها يوما ولا ليلة قط، ولا سألت الله سرا، ولا علانية ، لقد تقلدت أمرا عظيما لا طاقة لى به إلا أن يعين الله ، ولوددت أنها إلى أى أصحاب رسول اللهﷺ على أن يعدل فيها ، فهى إليكم ردّ ، ولا بيعة لكم عندى ، فادفعوا لمن أحببتم، فإنّما أنا رجل منكم[١] .

ولما كان عمر فى النزع الأخير ، جعل الأمر شورى فى ستة من المسلمين، فأشار عليه المغيرة بن شعبة بابنه عبد الله بن عمر، ليكون خليفة ، فغضب عمر ، ورد عليه قائلا :

قاتلك الله، والله ما أردت الله بهذا ، لا أرب لنا فى أموركم ، وما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتى ، إن كان خيرا فقد أصبنا منه ، وإن كان شرا فبحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ، ويسأل عن أمر أمّة محمدﷺ ، أما لقد جهدت نفسى ، وحرمت أهلى ، وإن نجوت كفافا لا وزر، ولا أجر إنّى لسعيد[٢] .

ولما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة،جاءه صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحربة، على عادته مع الخلفاء قبله ، فقال له عمر: مالى ولك ؟ تنحّ عنى إنّما أنا رجل من المسلمين، ثم سار وساروا معه حتى دخل المسجد، فصعد المنبر، واجتمع الناس إليه، فقال : أيها الناس، إنّى قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأى كان منّى فيه، ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين، وإنى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى، فاختاروا لأنفسكم

---

(١) الحديث أورده علاء الدين المتّقى الهندى فى : كنز العمال ٥ / ٦١٥ ، وعزاه إلى أبى نعيم فى فضائل الصحابة ، من حديث أبى بكر ﷺ به .

(٢) الحديث أورده الطنطاويان فى : أخبار عمر ص ٤٥٢ وعزواه لتاريخ الأمم والملوك للطبرى وأنساب الأشراف للبلاذرى .

ولأمركم من تريدون، فصاح المسلمون صيحة واحدة : قد اخترناك لأنفسنا ، ولأمرنا ورضينا كلنا بك . . .[١] .

إلى غير ذلك من الأخبار المشحونة بها كتب التاريخ .

٦ـ التذكير بمكانة ومنزلة الدنيا من الآخرة ، على نحو ما جاء فى كتاب اللّه ـ عز وجل ـ وعلى لسان النبى ﷺ :

إذ يقول المولى ـ عزّ وجل ـ عن هذه المنزلة ، وتلك المكانة :

﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى ﴾ [النساء: ٧٧] . ﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِى الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [التوبة : ٣٨]. ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِىَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [غافر]. ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾

[آل عمران]

وإذ يقول النبى ﷺ : « ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليمّ . فلينظر بم يرجع» [٢] . « لو كانت الدنيا تعدل عند اللّه جناح بعوضة، ما سقى كافرًا منها شربة ماء»[٣] .

فإن هذا التذكير قد يحمل العقلاء على أن يكونوا مغمورين بعيدا عن أىّ صدارة أو ريادة، حتى يخرجوا من هذه الدنيا سالمين غانمين، فيظفروا غدا برضوان اللّه سبحانه، والجنة .

---

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٩ / ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها : باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ٤/ ٢١٩٣ رقم (٢٨٥٨)، والترمذى فى : السنن : كتاب الزهد : باب منه ٤/ ٤٨٦ رقم (٢٣٢٣)، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الزهد: باب مثل الدنيا ٢/ ١٣٧٦ رقم (٤١٠٨)، وأحمد فى: المسند ٤/ ٢٢٩، ٢٣٠ كلهم من حديث المستورد ابن شداد رضي الله عنه مرفوعًا به ، وبنحوه ، واللفظ لمسلم، وقال الترمذى معقبا على روايته : «هذا حديث حسن صحيح . . . » .

(٣) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب الزهد: باب ما جاء فى هوان الدنيا على اللّه ـ عزّ وجلّ ٤/ ٤٨٥ رقم (٢٣٢٠)، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب مثل الدنيا ٢/ ١٣٧٦، ١٣٧٧ رقم (٤١١٠)، كلاهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعًا به، وبنحوه، واللفظ للترمذى، وعقّب عليه بقوله: « هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه » كما عقّب شهاب الدين البوصيرى فى: مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجه ٤/ ٢١٣، ٢١٤ على رواية ابن ماجه بقوله : « هذا إسناد ضعيف لضعف زكريا بن منظور به » ثم ذكر له متابعات وشواهد تفيد أن أصل المتن صحيح .